دَعْوَةُ الصَّابِئَةِ إِلَى الإِسْلَامِ

قَـدِيمًا وَحَـدِيثًا

إعداد

نبيل محمَّد محمَّد درويش

المدرس بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأصلِّي وأسلم على معلم البشرية، الهادي إلى الحنيفية النقية، المأمور بتطهيرها من كل شوائب الشرك الخفية والجلية، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأخيار الأطهار وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد

أما بعـد ،

فإن دراسة أصناف المدعوين واجب الدعاة، وخاصة أصحاب التخصص الأكاديمي، ليُفيدوا في أساليب ووسائل الدعوة، ودوافع الإنكار والاستجابة، والمعوقات التي تقف في طريق دعوة كل صنف من أصناف المدعوين. وإن توجه الباحثين والمتخصصين في علم الدعوة إلى دراسة الديانات والفرق ظاهرة صحية تسهم في إفادة الدعاة إلى الله بين صفوف الديانات والفرق المختلفة، ورد الشبهات التي تُثار على الإسلام.

وإن من هذه الديانات «الصابئة»؛ تلك الفرقة القديمة التي أثبت تاريخ الأنبياء وقصصهم وجودهم منذ زمن سيدنا إبراهيم الخليل ، ولا زالت هذه الديانة باقية في موطنها الأصلي بلاد الرافدين، فرأيت أن أقدم دراسة تاريخية دعوية تبرز تاريخ دعوة الصابئة إلى الإسلام قديمًا وحديثًا ومعوقاتها، والسبل المناسبة لدعوتهم في هذا العصر.

ومنهجي في الدراسة على النحو التالي:

١ – جمع ما يتيسر من المادة العلمية من المكتبات ومراكز المعلومات والقواعد العلمية والمواقع المفيدة في الشبكة العنكبوتية، وبحمد الله تيسر لي جمع مادة علمية جيدة كانت منطلق الدراسة.

٢ – بعد دراسة هذه المادة العلمية دراسة تاريخية تحليلية دعوية، قمت بتقسيمها إلى مواضيع أساسية اتضحت بعدها معالم خطة الدراسة على النحو التالي:

المبحث التمهيدي: تعريفات ومقدمات، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تعريف الصابئة.

المطلب الثاني: حجم الصابئة بين الديانات.

المطلب الثالث: مواقع الانتشار وإحصائيات أعدادهم.

المطلب الرابع: تاريخ النشأة.

المطلب الخامس: أبرز المعتقدات والأفكار.

المطلب السادس: أبرز شخصيات الصابئة قديمًا وحديثًا.

المطلب السابع: مصادر ديانة الصابئة.

المطلب الثامن: المؤلفات التي كُتبت في الصابئة.

المبحث الأول: تاريخ دعوة الصابئة إلى الإسلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تاريخ دعوة الصابئة عبر العصور الإسلامية.

المطلب الثاني: مظاهر التأثير والتأثر بين الديانة الصابئية والمسلمين.

المبحث الثاني: وسائل دعوة الصابئة وأساليبها قديمًا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وسائل دعوة الصابئة.

المطلب الثاني: أساليب دعوة الصابئة.

المبحث الثالث: أبرز القضايا في دعوة الصابئة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التنجيم.

المطلب الثاني: إنكار النبوة.

المبحث الرابع: أهم المعوقات والمقترحات حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهم معوقات دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر.

المطلب الثاني: أهم المقترحات حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر.

وبعد فهذا جهد المقل، وحسبي أني جمعت معلومات لا بأس بها استفدت منها شخصيًا، وارتأيت الإفادة منها، وأرجو أن تكون نواة لدراسة أوسع وأشمل، مع دعائي الصادق لكل من كان له يَدُ عَوْنٍ لي، وأسأل الله التوفيق والسداد وقبول الأعمال، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله على إمام الدعاة وعلى آله وصحبه وسلَّم.

المبحث التمهيدي

تعريفات ومقدمات

المطلب الأول

تعريف الصابئة

أولًا: -معنى الصابئة عند أهل اللغة:

إن «الصابئة» مشتقة من الفعل صَبَأَ: أي خرج، بمعناه العربي خرج من دين إلى دين، ويقال: صبأت النجوم إذا طلعت. وصبأت ثنية الغلام إذا خرجت. ولذلك كان أهل مكة يسمون النبي ﷺ الصابئ[1].

ثانيًا: معنى الصابئة عند المفسرين:

ورد ذكر الصابئين في القرآن في ثلاث آيات فقط، في سياق ذكر أهل الديانات الإلهية في آيتين هما قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٩﴾[3].

وفي سياق أهل الديانات الإلهية والمجوس بل والمشركين في آية واحدة، هي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ١٧﴾[4].

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة صبأ، ص ٥٦، ط١،مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ. و تاج العروس، الزبيدي، ١ / ١٥٨ تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ط).

(٢) سورة البقرة، ٦٢.

(٣) سورة المائدة، ٦٩.

(٤) سورة الحج، ١٧.

ولم أجد فيما اطلعت عليه من أقوال المفسرين من أشار إلى هذين السياقين واستنباط مدلولاتها. أما أقوالهم في تفسير هذه الآيات فتتلخص في الآتي:

١- **أنهم طائفة من أهل الكتاب:** ولم يحدد أصحاب هذا القول هل هم من اليهود أم من النصارى، وعلى ذلك فلا بأس بذبائحهم ومناكحة نسائهم، قال السدي -رحمه الله -في كلامه على سبب نزول آية البقرة: نزلت في أصحاب سلمان الفارسي رضي الله عنه، إذ ذكر أصحابه عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا سلمانُ! مِنهم أهل النار» فاشتد ذلك على سلمان، فنزلت هذه الآية [١]. وهو قول ابن راهويه، وأبي حنيفة -رحمهم الله -[٢].

٢- **أنهم من جملة فرق النصارى**، وهو اختيار السعدي -رحمه الله -[٣].

٣- **أنهم قوم يشبه دينهم دين النصارى** إلا أن قبلتهم نحو مهب الريح، يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام، وهو قول الخليل[٤].

٤- **أنهم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية،** لا تؤكل ذبيحتهم، وهو قول مجاهد والحسن -رحمهم الله -[٥].

٥- أما خلاصة قول القرطبي - رحمه الله - فهو: الذي تحصَّل من مذهبهم أنهم موحدون في بعض مسائل العقيدة معتقدون تأثير النجوم وأنها فعالة [٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ١ / ٩٣. ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ١ / ٤٣٤، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ١ / ٤٢، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١ / ٤٣٤.
(٥) المرجع السابق، ١ / ٤٣٥.
(٦) المرجع السابق، ١ / ٤٣٥.

ثالثًا: معنى الصابئة عند المحققين وعلماء الملل والنحل:

١ -يقول ابن تيمية -رحمه الله: (أما الصابئيون الحنفاء فهم في الصابئين بمنزلة من كان متبعًا لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل من اليهود والنصارى، وهؤلاء ممن حمدهم الله وأثنى عليهم، ووهب بن منبه من أعلم الناس بهم، قال: الصابئ هو الذي يعرف الله وحده، وليست له شريعة يعمل بها،ولم يحدث كفرًا.... ثم يقول ابن تيمية: (لم يرد بذلك أنهم كفار، فإن الله قد أثنى على بعضهم، فهم مستمسكون بالإسلام المشترك، وهو عبادة الله وحده، وإيجاب الصدق والعدل وتحريم الفواحش والظلم، ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه وتحريمه...) إلى أن قال: (أما من قال: إنهم من أهل الكتاب فهم يريدون من دخل في اليهودية أو النصرانية منهم، فهو يقسمهم إلى صابئة حنفاء موحدين، وصابئة مشركين، فالأولون هم الذين أثنى الله عليهم في آيتي سورة البقرة والمائدة، أما الذين ابتدعوا الشرك ومالوا إلى الفلاسفة فهم مشركون... ولذلك ذكر الله في آية سورة الحج الملل الست الأربع المذكورة في آيتي البقرة والمائدة، والمجوس والذين أشركوا، وأخبر أنه يفصل بينهم يوم القيامة، ولم يذكر في الست من كان مؤمنًا، إنما ذكر ذلك في الأربعة فقط) [1].

٢ -يقول ابن القيم -رحمه الله: (المقصود أن هذه الأمة قد شاركت جميع الأمم وفارقتهم، فالحنفاء منهم شاركوا أهل الإسلام في الحنيفية، والمشركون منهم شاركوا عبَّاد الأصنام ورأوا أنهم على صواب)[2].

٣ -يقول الإمام الشهرستاني -رحمه الله: (هم قوم يقولون بالمحسوس، والمعقول، والحدود، والأحكام. ولا يقولون بالشريعة والإسلام) [3].

---

(١) الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص ٢٨٧-٢٨٩ بتصرف، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ٢/ ٢٥١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ..

(٣) الملل و النحل، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ص ٢٥٨، مكتبة الرياض الحديثة.

أسباب اختلاف العلماء في تعريفهم:

١ - أن لغة هذه الديانة اللغة الآرامية القديمة وهي لغة بائدة.

٢ - خصوصية تعاليم الصابئة، فلا يحق للأتباع تعلمُ شيءٍ مباشرة من كتب الصابئة إلا من خلال رجال الدين.

٣ - انزواء الصابئية عن غيرهم من الطوائف وعدم مخالطتهم لغيرهم.

٤ - أنهم يعتبرون أنفسهم جنسًا مميزًا لا ينبغي لأحد مشاركتهم في عقيدتهم.

٥ - أن من دينهم التقية، وبها يتعاملون مع غيرهم من أهل الديانات.

٦ - أنهم لا يدعون إلى ديانتهم ولا يُحبون أن ينتمي إليها غيرهم.

٧ - أنهم لا يهتمون بالرد على مخالفيهم، وهذا أدى إلى عدم تَبين حقيقة أفكارهم [(١)].

رابعًا: معنى الصابئة في كتابات المعاصرين والمستشرقين:

١ -يقول الأستاذ العقاد -رحمه الله: (يشتركون مع أصحاب الأديان في شعائر كثيرة، ولا يعرف دين من الأديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهٍ له في إحدى الشعائر.. فهم يشبهون البراهمة والمجوس والأورنيين - أصحاب النحل السرية - كما يشبهون اليهود والنصارى والمسلمين.. والفلاسفة وأصحاب المذاهب العقلية في تفسير الوجود والموجودات.. وهم كما يشبهون الجميع يخالفون الجميع)[(٢)].

٢ -يرى آخرون أنها مشتقة من كلمة (صباؤث) العبرية بمعنى: جند السماء، دلالة على أنهم يعبدون الكواكب [(٣)].

---

(١) انظر: الصابئون أصولهم و عقائدهم، وموقف الإسلام منهم، د/ فهد بن موسى الفائز، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ١٤، ١٥. و مدخل في قواعد اللغة المندائية، نعيم بدوي، ص ١٥، ١٦، ط بغداد، ١٩٩٣م.

(٢) إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، ص ١٠٩، د.ت.ط.

(٣) انظر: الصابئة، د/ علي محمد عبد الوهاب، ص١٧، ط١ دار ركابي، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣-يرى آخرون أنها مشتقة من (صبغ) العبرية بمعنى غطس إشارة إلى شعيرتهم الرئيسية وهي التعميد أو الغطس في الماء الجاري [١].

٤-يرى آخرون أنها مشتقة من الفعل (صبا) الآرمي بمعنى: يرتمس، يغتسل، يتعمد [٢]، وهذا الرأي يؤيده غالب الذين كتبوا في هذه الديانة من المتأخرين، وهم المستشرقة الليدي دراور-التي تخصصت في دراسة هذه الديانة وتنقلت بين معتنقيها عدة سنوات كعادة المستشرقين، والأستاذ أوليري، والأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله، وأيد ذلك الدكتور/ رشدي عليان- أستاذ الأديان في جامعة بغداد-وقال: هو الأرجح لأمور:

١ -لمطابقة ما عليه الصابئة اليوم من الارتماس والاغتسال في الماء الجاري.

٢ -لورود هذه الكلمة بهذا المعنى في كثير من طقوسهم الدينية بلغتهم الآرمية القديمة.

٣ -أيَّد ذلك العقادُ، فهو يقول: سموا بالصابئة لكثرة الاغتسال في شعائرهم الدينية، وملازمتهم شواطئ الأنهار من أجل ذلك [٣].

خامسًا:-هناك من يرد التسمية إلى اسم شخص

هو صابئ بن متوشلخ حفيد النبي إدريس عليه السلام وهو على التوحيد كجده [٤].

وقد وضع الدكتور / فهد الفايز تعريفًا جيدًا فقال:

---

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، لمجموعة من المستشرقين، ١٤ / ٨٨، ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية، الشارقة، ١٩٩٨م.

(٢) انظر: الصابئون حرانين ومندائين، د / رشدي عليان، ص ٢٨. ط. دار السلام، بغداد، ١٩٧٦م

(٣) المرجع السابق، ص ٢٧-٣١.

(٤) الموجز في تأريخ الصابئية المندائيين، عبد الفتاح الزهيري، نقحه فريد عبد الزهرة المنصور، ص ٣٥، ط ١، مطبعة أركان، بغداد، ١٩٨٣م.

(الصابئية: ديانة من أقدم الديانات على وجه الأرض تدين لله بالتوحيد، ثم طرأ عليها التحريف بعد ذلك، وإنها تتخذ من آدم وشيث وإدريس ويحى عليهم السلام أنبياء لها على معنى النبوة عندهم) [1].

المطلب الثاني

حجم الصابئة بين الديانات

في هذا العصر الذي تكاثرت فيه أعدادُ البشرية، وكثرت- تبعًا لذلك -أعداد المنتسبين للديانات والملل، وظهر فيه انتصار أصحاب كل ملة لملَّتهم، إلا أنني بعد البحث تبين لي أن هذه الديانة صغيرة من حيث عدد أتباعها ومن حيث مكانة ديانتها بين الأديان، ومن حيث مواقع انتشارها، فهي لا تُعرف كما تُعرف الأديان، ولا مكانة لمعتنقيها مقارنة بالأديان الأخرى.

وقد بينت في المطلب السابق أسباب اختلاف العلماء في تعريف هذه الديانة، وهو مما يبين ضعف حجمها بين الديانات؛ بالإضافة إلى ذلك فإن من الأسباب أنه لم يُعرف عبر التاريخ وخاصة بعد ظهور الإسلام أن الصابئة كانت لهم دولة مستقلة، والملة إذا قامت لها دولة سياسية تتبناها ازداد تمكينها وعُرفت بين الديانات والملل وهذا لم يتوفر للصابئة. وقد زخرت المكتبات بالمؤلفات في تاريخ الأمم إلا هذه الديانة فإن المؤرخين قد أهملوا تاريخها، وهذا دليل ضعف حجمها وضعف مكانتها بين الديانات. ومن الأسباب أيضًا أن ديانة الصابئة مليئة بالخرافات والتنجيم والكهانة وقراءة الكف والأمور التي لا يقرها العقل السليم مما أضعف قبولها بين الناس في زمن العلم[2].

ومما يثبت صِغَر حجمها بين الديانات ما ذكرته جامعة بغداد في تقييمها لكتاب الدكتور / رشدي عليان المنشور عام ١٩٧٦م وهو تقييم أكاديمي؛ حيث تقول: (إن

---

(١) الصابئون أصولهم و عقائدهم، د / فهد الفائز، مرجع سابق، ص ٦٨٨.
(٢) الصابئون أصولهم و عقائدهم، د / فهد الفائز، ص ٦٩٣.

هذا الكتاب اتبع الطريقة العلمية الحديثة في اعتماده على المصادر الأساسية القديمة والحديثة، وإنه مفيد جدًا لدراسة هذه الديانة؛ حيث إن معظم الصابئة في العراق على قلتهم. وكذلك لقلة الكتب المؤلفة فيهم، وهي على قلتها بعيدة في معالجتها عن الروح العلمية)[1].

أما أبناء هذه الطائفة فإنهم يعترفون أنهم أقلية في العالم كله، فضلًا عن موطنهم الأصلي العراق، يقول عربي الخميسي -أحد أبناء هذه الطائفة، والمستشار القانوني لطائفة الصابئة المندائيين- بعد غزو قوات التحالف للعراق، بعدما بدأ العراقيون في وضع دستورهم الجديد: (نؤكد والألم يحز في قلوب أبناء الطائفة المندائية، على الصيغة التي أتى بها الدستور المؤقت المعلن، فإن عدم إعطاء حق هذه الأقلية وذكرهم في الدستور يعد خرقًا لحقوق المواطنة ومبادئ الديمقراطية، طالما كانت هي العتبة التي يقف عندها الشعب العراقي، للولوج إلى خط الشروع بجميع مكوناته بلا استثناء لبناء العراق الحديث. والسؤال المطروح هل من حق الأكثرية الحكم والتحكم بالأقلية؟ ربما يكون ذلك صحيحًا في مجال التجارة، وحساب الربح والخسارة على أساس حيازة أكثرية الأسهم في بورصة المساومات أثناء عمليتي البيع والشراء، ولكن ليس في أمور الحق والعدل والمساواة، وحقوق الإنسان، وتقرير مصائر الناس، إن هذه الأمور لا تباع ولا تشترى أيها السادة.

إن طائفة الصابئة المندائيين لن تطلب المستحيل وهي تدرك جيدًا المرحلة الصعبة التي تمر بها البلاد، ولكنها تشعر بمدى الغبن والإجحاف حين لم يرد ذكرها في الدستور صراحة. ولا نعتقد أن خبراء القانون والمشرعين لهذا الدستور فاتهم ما يعنيه عدم ذكرهم، وما سيترتب على ذلك من أمور خطيرة هي مسألة حياة أو موت بالنسبة لهذه الطائفة وهو إنذار مبكر لها وما عليها إلا أن تفتش عن الملاذ الآمن للحفاظ على حياة أبنائها منذ الآن وقبل أي شيء آخر وقبل فوات الأوان)[2].

---

(١) الصابئون حرانيين ومندائيين، د / رشدي عليان، ص ١٠.

(٢) www.faylee.info.Articles

المطلب الثالث

مواقع الانتشار وإحصائيات أعدادهم

تفيد الدراسات التي كتبت فيهم مع قِلَّتها، وما اطلعت عليه من كتابات الصابئة أنفسهم وخاصة في الشبكة العنكبوتية-الإنترنت- أنهم يعيشون على ضفاف الأنهار لأن شعيرتهم هي الارتماس في الماء الجاري. وموطنهم الأصلي ضفاف دجلة والفرات إلى الجهات الجنوبية من العراق، وشط العرب ومنطقة الأهوار وهذا أكثر تواجدهم، وجزء آخر يستوطنون جنوب إيران على ضفاف نهري الكارون والدز، والمدن الساحلية الإيرانية.

ولا تزال الغالبية العظمى منهم تسكن في هذه المناطق، إلا أنه في السنوات الأخيرة من القرن العشرين اتجهوا لسكنى المدن الكبرى في العراق طلبًا للرزق، ونزح قسم كبير منهم إلى بعض العواصم العربية كدمشق، وبيروت، والقاهرة، وهاجر قسم منهم إلى أوروبا وأمريكا واستراليا ، ويبدو أن من الأسباب التي دفعتهم للهجرة ما تعرضت له بلاد الرافدين في العقدين الماضيين من أحداث مؤلمة سببت ضغطًا قويًا على مواطنيه جعلتهم ينزحون خارج بلادهم. ومما يذكر أن هؤلاء بدأوا يتسامحون في الكثير من شعائرهم الدينية، إلا أنهم يفخرون بانتسابهم إلى هذه الديانة القديمة.

وإذا نظرنا إلى عدد الصابئة فنجده قليلًا جدًا، فقد نشرت مجلة المشرق في عام ١٩٠١م أنهم يسيرون إلى الانقراض سيرًا حثيثًا، حتى إنه لا يوافينا منتصف القرن الجديد إلا وقد مُحُوا من سفر الوجود ولم يبق منهم باق. وإن كانت هذه نظرة كانت متوقعة إلا أن الرحالة الفرنسي «نافارنيه» يقول: إن تحسن الرعاية الصحية والاجتماعية ساعدت على بقاء هذا الجنس، وذكرت المستشرقة «الليدي دراور» وهي التي عاشت سنوات عدة تتنقل بينهم أن إحصائية عام ١٩٣٢م بلغت (٤٨٠٥) نسمة، وترجم كتابها صابئيان،هما: نعيم بدوي، وغضبان رومي فقالا: إن إحصائية

عام ١٩٥٧م بلغت (١١٩١٢) نسمة، وإحصائية عام ١٩٦٥م بلغت (١٤٥٥٠) نسمة، ويرى الشيخ سلوان الصابئي-أمين سر المجلس الروحاني لهذه الطائفة- أن عددهم اليوم بلغ (١٠٠٠٠٠) نسمة موزعون في محافظات العراق والشام ومصر وتركيا وأوروبا وأمريكا [١].

ويذكر أحد مواقعهم الإلكترونية: (كان الصابئة المندائيون منذ زمن قديم يسكنون مناطق عديدة تمتد على رقعة جغرافية كبيرة، ولكنهم الآن يعيشون بشكل رئيسي في العراق والأحواز، وهناك جاليات صابئية في أوربا وأمريكا واستراليا وأقطار أخرى. أما عددهم فلا يتجاوز مئة ألف نسمة ، ورغم قلة عددهم فقد كان لهم دور بارز في مجالات العلم والأدب والمعرفة منذ العصر العباسي وحتى الآن) [٢].

المطلب الرابع

تاريخ النشأة

يصعب على الباحث الجزم بالبداية الحقيقية لدين الصابئة، لتضارب الكتابات التاريخية في ذلك، وبما أن هذه الكتابات-على قلتها-ليس لها سند فهي تبقى من الأخبار التي لا تصدق ولا تكذب، ولعل الأقرب إلى الصواب أنهم من حيث الجنس يرجعون إلى أصل واحد، فهم من الأقوام الآرمية التي تسكن ما بين النهرين، وأن جزءًا منهم هاجر إلى حران واستقر فيها، وجزءًا آخر ارتحل إلى نهر الأردن، وهناك تأثرت ديانتهم باليهود، ثم اضطرهم اليهود إلى الخروج فعادوا مرة أخرى إلى جنوب العراق مساكنهم الأولى، وسموا البطائحية. وسبب التسمية بالبطائحية: أن مياه دجلة والفرات فاضت فيضانًا شديدًا، فتبطح الماء في الديار، فيما بين واسط شمالًا والبصرة جنوبًا حتى تكونت بطائح كثيرة، وسكنها هؤلاء فسموا صابئية البطائح [٣].

(١) انظر: الصابئون أصولهم و عقائدهم، د/ فهد الفائز، ص ٦٩٦-٦٩٩.
(٢) www.mandaeans.org.frame low.htm
(٣) البطائح: ممرات السيول، يقال تبطحت المياه إذا سالت و اتسعت في الأرض.

وتأكدت التسمية لأن ديانتهم تقوم على التعميد وهو الانغماس في مياه الأنهار. ومنهم من التحق بإخوتهم الذين هاجروا إلى حران وتسموا بالحرانيين نسبة إلى حران [1].

وإذا أردنا تحديد المراحل التي مرت بها الديانة فنقول: إنهم كانوا على الحنيفية، عبادة الله وحده ويسمون الصابئة الأولى، أو صابئة الفطرة، أو الحنفاء. وبعد موت إدريس عليه السلام بمدة دخل عليهم الشرك، واعتقدوا في الكواكب والأجرام السماوية، وخاصة الأجرام السبعة حيث يعتقدون أن القوى المدبرة للكون متعددة، وهناك قوة عظمى أعلى تهيمن على هذه القوى وتديرها وبنوا لها هياكل، فسموا أصحاب الهياكل وهم الحرانيون.

ولعل أصوب الأقوال في تحديد نشأتهم قول الذين استدلوا بآيات القران الكريم على نشأة الصابئة. يقولون: إنهم قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأنه قد ناظر أهل أور [2] الكلدانيين، فأبطل حججهم، بعد أن جعل أصنامهم جذاذًا، وأرادوا به كيدًا فنجاه الله، قال تعالى:

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [3].

(١) حران: مدينة قديمة، و لا زالت تعرف بهذا الاسم إلى اليوم، وهي تقع في الشمال الغربي من العراق، مما يلي الحدود التركية، فتحت في عهد عمر رضي الله عنه، وهي قصبة الصابئة و موطن ديانتهم وكعبتهم، و كانت تحميها قلعة مبنية من الحجر المنحوت. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢ / ٢٣٥، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥).

(٢) مدينة من أصقاع رامهرمز بخوزستان. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١ / ٢٧٨).

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ٥٨ - ٦٩.

ثم سافر إلى حران، وأهلها هم أصحاب الهياكل، وناظرهم أيضًا فأبطل حُجَجَهم، وقد حكى ذلك القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[1].

ويرى كثيرٌ من الباحثين أن هذه المسميات وأهلها قد انقرضوا ولم يبق إلا المندائيون. وهم الموجودون الآن على العقيدة الصابئية المندائية في أماكن تواجدهم التي ذكرناها في المطلب السابق.

وكلمة مندائي ترجع إلى مندا الآرمية ومعناها: المعرفة، والعلم، أو الإلهام، والوحي، والدين السماوي، والكشف. ويطلق على كل فرد من الصابئة الآن مندائي بمعنى العارف بالدين الحق. وهذا ما أيده أغلب من بحث في تاريخ هذه الديانة على قلتهم، وأيد ذلك من كتب في الصابئة من الصابئين أنفسهم. وقد وجدت فيما وقفت عليه من مواقعهم على الشبكة العنكبوتية أنهم لابد أن يضيفوا إلى كلمة صابئ كلمة مندائي. وكذلك كل ما اطلعت عليه من المؤلفات في الصابئة عندما يتكلمون عن لغة هذه الديانة يقولون: اللغة المندائية [2].

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٧٥ – ٨١.

(٢) انظر على سبيل المثال: الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين، عبد الفتاح الزهيري، ص ٣٦، و الصابئيون حرانيين ومندائيين، د / رشدي عليان، ص ٤٨ .و تتمة المختصر في أخبار البشر، تاريخ ابن الوردي، تحقيق أحمد رفعت ٢ / ١٥٧، دار المعرفة بيروت، ١٣٨٩ هـ، و اعتقادات

المطلب الخامس

أبرز المعتقدات والأفكار

١ -**عقيدتهم في الخالق**: يعترفون بوجود الخالق، ويعزون حكم العالم للكون السماوي وأجرامه التي يعتبرونها كائنات حية تضر وتنفع.كما أنهم يصرفون جزءًا من الربوبية للملائكة. وعلى ذلك فلا يقرون بصفات الله لأنهم يعتمدون على زنادقة الفلاسفة فيأتون بما لا تقبله العقول السليمة.

٢ -**عقيدتهم في الملائكة**: يقولون الملائكة خلقوا بالانبثاق أي أنهم ليسوا مخلوقين كبقية الكائنات الحية، ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخُلقوا، وتزوجوا بنساء من صنفهم وأصبح لهم أولاد وبنات، وقد وكل الله إليهم تدبير هذا العالم فهم يعلمون الغيب ويشاركون الله في الخلق ويسمونهم (أصحاب الروحانيات) فيعبدونهم ويقربون لهم القرابين ويعتقدون فيهم الضر والنفع.

٣ -**عقيدتهم في الأنبياء**: يعتبرون من يعترفون به من الأنبياء رجلًا صالحًا فقط، لأنه من البشر مثلهم، فالنبوة عندهم ليست كما في الأديان الأخرى.و ينسبون كتابهم المقدس (الكنزبرة) أي: الكنز العظيم إلى آدم. ويقولون إن دينهم بعده انتقل إلى شيث، أما إدريس عليه السلام فهو أول من بنى الكعبة، وهي بيت زحل أعلى الكواكب السيارة. وأما نوح عليه السلام فيحيكون حوله قصصًا خرافية منها أنه زنا بامرأة من الجن فأنجبت له ثلاثة من الأبناء. وأما إبراهيم عليه السلام يعتبرونه خرج على ديانتهم، وناصبهم العداء، لأنه استمد قوته من الظلام، وابتلي بدمل فختن نفسه. لذلك ديانتهم ترى أن المشوهين والذين فيهم أي عاهة خلقية ناقصو عقول، وغيرُ طاهرين، ولا يقومون بعملية الذبح. وأما يحي عليه السلام فهو الذي كان عهده منعطفًا تاريخيًا عند الصابئية. فقد كان معلمًا عظيمًا، يمارس عملية التعميد، وخففت الصلاة في عهده. وأما عيسى

فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، تحقيق: د / محمد زينهم عزب، ص ٢٣١، ط١، مكتبة مدبولي، ١٤١٣ هـ والصابئون أصولهم وعقائدهم، د / فهد بن موسى الفايز، ص ٣٧٥، ٤١٦ ٤٨٠، و بعض المواقع على الشبكة العنكبوتية للصابية وأشهرها موقع الأستاذة / نادية المراني الصابئية.

عليه السلام فقد كان صابئيًا فخرج عنها وحرف كلمات النور. وأما محمد ﷺ فيلقبونه ملك العرب، ولا يعتقدون نبوته كبقية الأنبياء.

٤ -**عقيدتهم في النجوم**: يقدسونها ويعبدونها ويتوجهون للنجم القطبي عند الصلاة.

٥ -**العبادات**: يؤدون ثلاث صلوات في اليوم لها طقوس مخصوصة، يتطهرون قبلها.

٦ -**الزواج**: فرض عند الصابئية، ويتزوج الرجل ما يشاء بأي عدد كان، ومما يتفقون مع الإسلام فيه أن المحرمات من النساء هن المحرمات عند المسلمين كما في آية النساء. والطلاق غير مشروع، ويحل محله الهجر المستمر.

٧ -**التعميد**: وهو الاغتسال في الأنهار ويكون يوم الأحد، وفي كل عيد من أعيادهم، وعلى الأقل مرة واحدة في السنة.

٨ -أما أركان ديانتهم فهي خمسة أركان وهي: الصدقة، والصوم، والصلاة، والتعميد، والتوحيد [(١)].

المطلب السادس

أبرز شخصيات الصابئة قديمًا وحديثًا.

أولًا: أبرز شخصياتها قديمًا

لم يكن هناك ظهورٌ يذكر لأعلام الصابئة كبقية الأمم والطوائف ولهذا أسباب بيناها في المطالب السابقة، إلا في مجال الطب فقد اشتهروا به بين الناس في القديم،

(١) ينظر في هذا المطلب: الصابئون في حاضرهم وماضيهم، عبد الرزاق الحسني، ص ٤٣-٥٥. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي. والصابئة قديمًا وحديثًا، ص ٢٧. والصابئون حرانيين ومندائيين، ص ٨٤-١٠٤. والصابئة المندائيون، سليم برنجي، ترجمة: جابر أحمد، ص ٢٤-٢٨. وتاريخ الصابئة المندائيين، محمد بن عمر حمادة، ص ٤٠، والصلاة المندائية و بعض الطقوس الدينية، رافد عبد الله نجم، ص ٥٦، ومفاهيم صابئية مندائية، ناجية مراني، ص ١١٩. وأحد مواقعهم المعروفة على الشبكة العنكبوتية الإنترنت www.faylee.info.articles

وكان سببًا في تقريب بعضهم إلى الخلفاء وخاصة بني العباس، وكذلك البلاغة والأدب فقد ظهر منهم أسماء لامعة في هذا المجال، ومن هذه الشخصيات الأسماء التالية:

١ -**أبو الحسن ثابت بن قرة المتوفى عام ٢٨٨ هـ**: كان بارعًا في الطب، وهو أول من دخل في البلاط العباسي من الصابئية،وكان يلقبه المعتضد العباسي الأستاذ، وأدخله في جملة المنجمين فسكن بغداد. ذكر الرازي أن له قرابة ١٥٠ مؤلفًا أغلبها في الطب، والفلك والموسيقى والفلسفة التي أغلبها ترجمة لكتب سقراط وبطليموس.

٢ -**إبراهيم بن ثابت بن قرة الصابئي**: بلغ رتبة أبيه في صناعة الطب.

٣ -**إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة**: كان بارعًا في الطب والهندسة.

٤ -**أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابيء**: قال فيه أهل التراجم أوحد العراق في البلاغة، وأثنوا على علمه وروعة بيانه، توفي عام ٣٨٤هـ وله مؤلفات في الأدب والشعر، ذُكر أنه كان كاتب الإنشاء عن الخليفة، وعن عز الدولة بن بختيار الديلمي. وقد كان متشددًا في دينه، وشدد عليه عز الدولة أن يسلم فأبى، مع أنه كان يحفظ القرآن ويستعمله في الرسائل.

ثانيًا: أشهر من أسلم من الصابئية قديمًا

١ -**هلال بن المحسّن** المتوفى عام ٤٤٨ هـ، وكان جده أبو إسحاق كاتب الخليفة ورئيسًا لديوان الإنشاء، ويتمنى أن يخلفه حفيده في هذا المنصب، مع محافظته على ديانته، ولكن الله كتب له الإسلام، فأسلم وهو أول من أسلم من قبيلته، فأبعد باختياره عن الديوان وحسن إسلامه، وله مؤلفات كثيرة.

٢ -**سنان بن ثابت بن قرة أبوسعيد** توفي مسلمًا عام ٣٣١ هـ، كان طبيب المقتدر، كان يختبر الأطباء، ويطرد الدجالين، وقد كانت له منزلة عظيمة عند الأمراء، وتولى رئاسة المستشفيات.

وذكر صاحب الموجز في تاريخ الصابئية أن عددًا كبيرًا من أبناء آل زهرون وهي أكبر بطون الصابئية أسلموا رغبة لا رهبة، بعد أن عُرض الإسلام عليهم من المسلمين، وخاصة بعد إسلام هلال بن المحسّن الطبيب المشهور وكاتب الإنشاء عند الخليفة [1].

ثالثًا: أبرز شخصيات الصابئة حديثًا

لم أجد في المصادر الموثقة الحديثة أسماء ذات ظهور من الصابئية، سوى الأسماء التالية:

١ -نعيم بدوي.

٢ -غضبان رومي، له كتاب تعاليم دينية لأبناء الصابئية.

٣ -نادية المراني، باحثة في الأدب.ولها كتاب مفاهيم صابئية مندائية.

ذكرهم الدكتور/ رشدي عليان في كتابه (الصابئون حرانيين ومندائيين) وأثنى على علمهم ومكانتهم في الصابئية في العراق، وقد قاموا بترجمة ما كتبه المستشرقون عن الصابئية.

٤ -الدكتور/ عبد الجبار عبد الله السام ولد في العمارة عام ١٩١٢م، وتخرج في جامعة بغداد وحصل على الدكتوراه في الفيزياء من أمريكا، وكان بارعًا في الفيزياء والرياضيات، ويجيد كثيرًا من اللغات، وله كثير من البحوث، وقد شغل رئاسة جامعة بغداد فترة من الزمن، توفي في أمريكا ونقل إلى بغداد ودفن في مقبرة الصابئية في بغداد عام ١٩٦٩م.

٥ – الدكتور أنيس زهرون داغر.

٦ – الشاعرة لميعة عباس، يمجدونها ولا تكاد تجد موقعًا على الشبكة إلا ولها فيه تمجيد ومدح، عاشت في أوروبا وأغلب شعرها حنين إلى العراق.

---

(١) الوجيز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، ص ٢٠٣.

٧ - عمارة عباس [١].

* * وقد لاحظت أن أبناء هذه الديانة مع قلتهم، يحاولون إبراز ديانتهم، وإبراز ذوي المكانة الاجتماعية من أبناء الطائفة في المجتمع العراقي، فما من موقع على الشبكة إلا ضمن مفرداته قسم خاص بعنوان (الأوائل)، يَعْنُون أول من حصل على الدكتوراه، أول من تخرج طبيبًا، أول من سافر خارج العراق، ويذكرون أسماء لا تتجاوز في مجموعها سبعة أسماء. ونجد قائمة أخرى فيها حوالي (٢٦) اسمًا أغلبها من الأسماء التي ذكرناها [٢].

رابعًا: الشخصيات الدينية المعاصرة

١ -الشيخ عبد الله بن الشيخ سام.

٢ -الشيخ نجم الشيخ زهرون وهما أعلى درجة في الدين الصابئ والمسماة: (كنزبرة) في هذا العصر، وقد توفيا في العقد الأخير من القرن العشرين.

٣ -الكنزبرا الحالي هو: الشيخ ستار جبار حلو، وهو رئيس الطائفة وله مكانة رفيعة عند أتباع الطائفة، يدل على ذلك أن أخباره وزياراته الرسمية والخاصة تتصدر المواقع الإلكترونية للصابئة [٣].

المطلب السابع

مصادر ديانة الصابئة

للصابئية أربعة عشر كتابًا هي مرجع ديانتهم، وجميعها مكتوبة باللغة المندائية التي هي فرع من اللغة الآرامية، وهم شديدوا الحرص ألا يطلع عليها غير المندائيين،

---

(١) انظر في هذه الأسماء: المرجع السابق، ص ١٨٣-٢٠٣. و الصابئون أصولهم و عقائدهم، د/ فهد الفائز، ص ٥٠٦-٥١٦.

(٢) www.mandaeans.org.mandfigurs.htm

(٣) www.sabianmandaean.com /news.php?readmore

ولذلك أخفق كثير من المستشرقين في الحصول على نسخ من هذه الكتب، وهذا تعريف موجز بأربعة من كتبهم:

١- كنزه ربه أو الكنزبرا أي الكنز العظيم، أو الكتاب العظيم، ويعتقدون أنه صحف آدم، وهو قسمان: قسم يحتوي نظام الكون، وتكوين العالم والتطورات البشرية. وقسم يعالج شؤون الموتى.

٢ - سدرة أد نشماتة: أي كتاب التعميد، وفيه نصوص الصلوات، والتراتيل التي يقرأها رجال الدين في حفلات التعميد.

٣ - النياني: أي كتاب الأناشيد والأذكار.

٤- قلستا: أي كتاب عقد الزواج، ويحتوي رسوم عقد الزواج وشعائره واحتفالاته وما إلى ذلك [١].

* ولرجال دينهم ثلاث مراتب لا يصل إليها مريدها إلا بعد جهد تدريبي، ودراسة خاصة، ورياضة روحية خاصة، يعقب ذلك امتحان خاص وهذه الدرجات هي:

١- ترميدة: وهي أولى مراتب رجال الدين.

٢- الكنزبرا: وهي درجة أعلى من الترميدة.

٣- ريش أمة: أي رئيس أمة وليس في الصابئية من يشغل هذا المنصب اليوم، لأنه لابد لهذه الدرجة من علم وفير، وأن يكون قد قام بتكريس سبعة علماء بدرجة ترميدة، ويحضر حفل تكريسه سبعة علماء بدرجة كنزبرة [٢].

---

(١) الصابئون حرانيين و مندائيين، د / رشدي عليان، ص ١٢٣، ١٢٤.
(٢) المرجع السابق، ص ١٢٧-١٣٣. و الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ٣١٩.

المطلب الثامن

المؤلفات التي كُتبت في الصابئة

تُعد الكتابات التي كُتبت في هذه الطائفة على قِدمها من أقل ما كُتب عن أتباع الطوائف والملل، وهذا يؤدي تبعًا إلى صعوبة الكتابة عنهم، وفي نفس الوقت يعتبر حافزًا لمن أراد أن يكون ممن له قصب السبق في دراسة هذه الطائفة. ويعتبر الدكتور فهد الفائز أفضل من كتب عن عقيدة الصابئة، وهو الباحث الحاصل على درجة الدكتوراه في العقيدة في بحثه الموسوم: «الصابئون عقائدهم وأصولهم» من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وقد ذكر أنه لم يجد مؤلفات مستقلة عن الصابئة إلا هذه الكتب وهي:

١- أساطير وحكايات صابئية المستشرقة الليدي دراور ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي ط ١٩٧٣م بغداد.

٢ - أقوام تجولت بينها فعرفتها، محمد الفرماني، ط ١٣٤٩ هـ، دمشق.

٣- التعميد المندائي، الشيخ رافد الشيخ عبدالله نجم، ط ١٩٩٠ م، بغداد

٤ - جذور الديانة المندائية، خزعل الماجدي، ط ١٩٩٧ م، بغداد.

٥ - ديوان الأساطير، قاسم الشواف، ط ١٩٩٦ م.

٦ - الصابئية المندائيون، الليدي دراور، ط ١٩٦٩ م، بغداد.

٧- الصابئية المندائيون، سليم برنجي، ترجمة: جابر أحمد، ط ١٩٩٧م، بغداد.

٨ - صابئية حران وإخوان الصفا، محمد الحمد، ط ١٩٩٨م، دمشق.

٩ - الصابئيون حرانيين ومندائيين، رشدي عليان، ط ١٩٧٦م.

١٠- الصابئيون في حاضرهم وماضيهم، عبدالرزاق الحسيني، ط ١٩٨٤م، بغداد.

١١- الصلاة المندائية، الشيخ رافد عبدالله، الشيخ نجم، ط ١٩٨٨م، بغداد.

١٢ - مدخل في قواعد اللغة المندائية، نعيم بدوي، ط ١٩٩٣م، بغداد.

١٣- مفاهيم صابئية مندائية، ناجية مراني، ط ٩٨١ م، بغداد.

١٤- مندائي أو الصابئية الأقدمون، عبد الحميد عبادة، ط ١٩٢٧م، بغداد.

١٥- الموجز في تأريخ الصابئية، عبد الفتاح الزهيري، تنقيح فريد عبد الزهرة المنصور، مطبعة أركان، بغداد، ط ١، ١٩٨٣م.

١٦- هل المندائية لهجة من العربية، ناجية مراني.

١٧ - النشوء والخلق في النصوص المندائية، كورت رودولف، ترجمة: الدكتور صبيح مدلول السهيري، ط ١٩٩٤م، بغداد.

وقد يسر الله تعالى لي الاطلاع على بعض هذه المؤلفات، غير أني أستطيع أن أضيف إلى ما ذكر :

كتاب أستاذي الدكتور/ علي محمد عبد الوهاب، الصابئة، والذي طبعته دار ركابي بالقاهرة ١٩٩٥م، وهو من أجلّ ما قرأت ودرست.

كما قرأت مباحث عدة خطت بأقلام أساتذة قسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة جامعة الأزهر، في المناهج الدراسية المقررة على طلاب الكلية، ومن أبرزهم أ.د/ عادل محمد محمد درويش في كتاب الأديان القديمة المقرر على طلاب الفرقة الثانية، أ.د/ علي عبد العال ربيع.

وقد اطلعت على هذه الكتابات، وأفدت منها إفادة جمة

المبحث الأول

تاريخ دعوة الصابئة إلى الإسلام

المطلب الأول

تاريخ الصابئة عبر العصور الإسلامية

أولًا: في عصر الخلفاء الراشدين:

بعد سقوط دولتي الفرس والروم، وقيام دولة الإسلام على منهاج النبوة، وما تحمله من صفاء عقدي، وشمول في تعاليم الدين الحنيف لجميع جوانب الحياة، وعدل وتسامح، فإنه من الطبيعي أن ينعم الناس بعدل هذا الدين، فمن دخل الإسلام فهو كالمسلمين له ماهم وعليه ما عليهم، ومن بقي على دينه فهو لا يظلم ولا تنتهك حرمته، ينعم بنعمة الأمن، ويحيى حياة هانئة، والصابئة من هؤلاء الناس فلا شك أن فيهم من أسلم، إلا أنه لقلة هذه الطائفة من جانبٍ، ولظلم الفرس والروم لمن لم يكن على ديانتهم، فإن الصابئة بقوا منزوين لا يستطيعون إظهار شعائر ديانتهم؛ بل قد يتظاهرون بديانة هذه الدول الظالمة. ويبدو -والله تعالى أعلم -أن هذا الانزواء استمر في هذا العصر تأمُلًا في تعاملات هذه الدولة الجديدة، ولأنه أيضًا من تعاليم هذه الطائفة (التقية).

وقد رحب الناس بالعرب حبًا في الخلاص من ظلم الحكام أولًا، ورغبة في إعفائهم من الخدمة العسكرية ثانيًا، ثم أملًا في تمتعهم بالحرية الدينية آخر الأمر، وذلك لأن الإسلام كان يبيح لغير المسلمين من يهود ومسيحيين وصابئة أن يتدينوا بما يرضون لأنفسهم من دين على أن يدفعوا الجزية للمسلمين [1].

وكان أكثر المسلمين يَعُدُّون الصابئة من طوائف النصارى، كما ذكر ذلك بعض المفسرين كما مر معنا في المبحث التمهيدي، ولذلك لم يذكر التاريخ وقائع وأحداثًا

(١) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني، حسن إبراهيم حسن، ١ / ٢٢٢.

بين هذه الطائفة والمسلمين، فعومل الذين لم يدخلوا دين الإسلام منهم كمعاملة النصارى المسالمين.

ولم أعثر- فيما تمكنت من الاطلاع عليه من كتب التاريخ- ما يحدد أعداد المسلمين منهم أو ظهور أعلام منهم أسهموا في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في تلك الفترة أو شاركوا في الفتوحات الإسلامية. إلا ما ذكره عبد الفتاح الزهيري في كتابه (الموجز في تاريخ الصابئية المندائيين): أن أساطيرهم تروي أنهم من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه، وأنهم وجدوا حسن المعاملة منهم لأنهم عرفوا أنهم على دين إبراهيم الخليل عليه السلام فآزروهم وأسهموا في رد الدعايات المغرضة عن الإسلام[1]. وهذه من أساطيرهم المكتوبة باللغة المندائية الآرمية القديمة لا تقوم بها حجة.

ثانيًا: في العصر الأموي

يقول صاحب الموجز في تاريخ الصابئية: (قد برز نفر من الصابئة في هذا العصر بعد أن ظلوا مجهولين قرونًا تحت ظلم الاستعمار الذي استولى حتى على أماكن عبادتهم، وذكر عددًا من الأسماء، ولم يذكر من أسلم منهم)[2].

ويبدو- والله تعالى أعلم - أنهم في هذا العصر بدأوا في الظهور وإن لم يكن ظهورًا واضحًا، ولكنهم تأكدوا ولمسوا حسن تعامل المسلمين، ورأوا التطبيق العملي للإسلام في أخلاق المسلمين وتعاملاتهم بعد أن كانوا يتخفون خشية أن يُظلموا كما كانوا يُظلمون في العهد الفارسي والروماني.

ثالثًا: في العصر العباسي

من خلال استقراء بعض المصادر يتبين أن الظهور الحقيقي للصابئة كان في العصر العباسي، فقد قربهم الخلفاء لما اشتهروا به من علم الطب والرياضيات

---

(١) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، ص ٨٠.
(٢) المرجع السابق، ص ٨١.

والكيمياء والحساب، وكان من نتائج هذا التقريب أن أسلم بعضهم. بل ذُكر أن قبيلتين هما آل قرة وآل زهرون أسلم أكثرهم رغبةً لا رهبة، منهم: ـ

- **سنان بن ثابت بن قرة**: الذي كان طبيبًا للمقتدر ثم للظاهر الذي دعاه للإسلام وألح عليه في ذلك فامتنع فهدده فانهزم إلى خراسان، ولكنه أسلم طواعية ثم عاد إلى بغداد ومات فيها مسلمًا عام ٣٣١ هـ.

وهنا يتبين حرص خلفاء بني العباس على إسلام هؤلاء لما يتمتعون به من كفاءة في كثير من العلوم وخاصة العلوم الطبيعية والطبية، بل قد يصل الأمر إلى استخدام القوة كما فعل الخليفة الظاهر مع سنان بن ثابت.

وقد كان بداية دخولهم البلاط العباسي في أواسط القرن الثالث الهجري على يد ثابت بن قرة الذي قربه المعتضد، وكان يلقبه بالأستاذ لبراعته في الطب. ولكنه لم يسلم.

- **وهلال بن المحسّن**: المتوفى عام ٤٤٨ هـ والذي كان كاتب الديوان عند الخليفة كتب الله له الإسلام وكان سببًا في دخول أكثر قبيلته آل زهرون الإسلام [(١)].

- **وجابر بن حيان**: الكيميائي المشهور ذُكر أن آباءه كانوا من الصابئة [(٢)].

وذكر ابن تيمية -رحمه الله تعالى -الصابئة وأنهم من أهل الفلسفة والطب وكثير منهم لم يسلموا، ورد عليهم ضمن رده على المنطقيين والفلاسفة[(٣)].

---

(١) روي في قصة إسلامه أنه رأى الرسول ﷺ في المنام وأمره أن يتوضأ، ثم أمره أن يصلي معه وقرأ سورة النصر والإخلاص، وقال له: أنت رجل عاقل والله يريد بك خيرًا فلم تدع الإسلام الذي قامت عليه الدلائل، وقال له: قل أسلمت وجهي لله وأشهد أن لاإله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. و يقول أيضًا: ورأيته مرة أخرى فأخبرت والدي فقال:هذه بشرى محمودة لكن لا تظهر هذا الأمر فجأة، ثم أسلم وحسن إسلامه. (انظر: الموجز في تاريخ الصابئية، عبد الفتاح الزهيري، ص ١٧٨ ١٨٠ . والصابئية أصولهم وعقائدهم د / فهد الفايز، ص ٥٠٨)

(٢) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، ص ٨٣.

(٣) انظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص ٢٨٧ ٢٩٠.

رابعًا: في العصر العثماني

يصف صاحب «الموجز في تاريخ الصابئة» ما بعد سقوط الدولة العباسية بأنه الفترة المظلمة في تاريخ الصابئة، فقد قتل التتار كثيرًا منهم، وضاعت مؤلفاتهم، وعادوا يخفون ديانتهم، وعادوا إلى مدينة حران موطنهم الأصلي بعد أن عاشوا حضارة المسلمين، وشاركوهم في بناء تلك الحضارة، وأسلم منهم من أسلم [1].

ويبدو - والله تعالى أعلم - أن هذه الفترة شهدت ضعف تأثير الإسلام في هذه الطائفة، لأن الذين فروا إلى حران من المسلمين الذين كانوا على الديانة الصابئية تأثروا بأبناء عمومتهم، خاصة مع الضعف الديني الذي كان ظاهرًا في العالم الإسلامي، وظهور الخرافة والشعوذة، وهي مما تقره الديانة الصابئية، فتعاقبت الأجيال على هذا الوضع، إلى عصر الاستعمار الذي زاد الطين بلّة.

خامسًا: في العصر الحاضر

تحدد بداية هذا العصر ببداية الاستعمار الموجه للعالم الإسلامي، والذي مهدت له الحروب الصليبية. وجاب المستشرقون الديار الإسلامية، ومنهم الذين تخصصوا في هذه الديانة من أمثال المستشرقة الليدي دراور، والتي كتبت كثيرًا من البحوث والدراسات الميدانية بين الصابئة، وترجمت ما استطاعت الحصول عليه من كتبهم التي كتبت باللغة المندائية الآرامية، ولعلها أول من كتب عن هذه الطائفة في هذا العصر، ولذلك كل من كتب عنهم جعل كتاباتها مرجعًا يرجع إليه، مع أن كتاباتها تشعل الفتنة ضد المسلمين الذين هم الأغلبية الساحقة في العراق، وتتهمهم بظلم هذه الطائفة القليلة.

ولذلك لم يذكر التاريخ دورًا للمسلمين في دعوة هذه الطائفة التي تعيش بين ظهرانيهم خلال هذه الفترة من الزمن.

---

(١) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، ص ٨٨ ٩١.

ثم جاء دور الثورة العراقية عام ١٩٥٨م بقيادة حزب البعث، الذي جعل الحزب ديانة يوالى ويعادى عليها، وألغى دور الدعوة الإسلامية وجثم على العراق أربعة عقود ونيفًا. إلا أن الصابئة يعتبرون هذه الفترة من العصور الذهبية في تاريخهم، والواقع يؤيد ذلك؛ فقد كانت أعدادهم قبل الثورة بسنتين عشرة آلاف نسمة، ثم قفزت بعد الثورة بسبع سنوات إلى قرابة خمسة عشرة نسمة بنسبة زيادة بما يقرب ٥٠٪[1].

فقد جاء في الدستور أن الصابئة من طوائف المجتمع العراقي، وأنهم متساوون مع غيرهم في الحقوق والواجبات، يقول قرار الاعتراف: إن الصابئة في العراق من الطوائف المعترف بها اعترافًا قانونيًا وواقعيًا،.. ويذكر أسباب ذلك ويبين أهميته البالغة بالنسبة لهم بعد ما لاقوه من تعسف في العهد الملكي[2].

وهم الآن يَصِلُون قرابة مائة ألف نسمة، ولم يتعرضوا لمضايقات في ديانتهم ولم يُؤْذَوْا كما أُوذي المسلمون طيلة الحكم البعثي، وبلغوا مراتب عليا في الدولة، وفي نفس الوقت لم يكن للمسلمين دورٌ بارزٌ في دعوتهم في هذه الفترة، ولعل مبررها مضايقة الحزب الحاكم للإسلام وأهله.

---

(١) سبق بيان ذلك ص ١٠.

(٢) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة، ص ٩٣.

المطلب الثاني
مظاهر التأثير والتأثر
بين الديانة الصابئية والمسلمين

أولًا: مظاهر تأثير الصابئة على المسلمين:

كان للصابئة أثرٌ كبيرٌ على المسلمين، خاصة في الركائز الفكرية لبعض الفرق والتيارات الضالة، ومن ذلك:

١ -أن الجهمية أخذوا عن الجعد الذي هو من أهل حران وبها أئمة الصابئة الفلاسفة أهل الشرك ونفاة الصفات والأفعال [(١)].

٢-أن الرافضة ترجع بعض أصولهم إلى صابئية الفلاسفة الخارجين عن متابعة المرسلين [(٢)].

٣-أن غالب أئمة الرافضة من فلاسفة الصابئة كالنصير الطوسي، وسنان البصري وغيرهم، وأنهم أخذوا التقية من الصابئة [(٣)].

ومن هذا يتبين أن أهل الكلام قد تأثروا بفلاسفة الصابئة.

ثانيًا: مظاهر تأثير المسلمين على الصابئة

عاش أتباع هذه الطائفة نعمة الأمن والعدل والمعاملة الحسنة في الدول الإسلامية، وبرزوا في المجالات العلمية التي عُرفوا بها، ومن نتائج ذلك أن أسلم الكثير منهم رغبة لا رهبة وهذا أهم تأثير من الإسلام على هذه الطائفة، لكن ظهر في طقوسهم الدينية وعاداتهم ما يتشابه مع العبادات في الدين الإسلامي، ويبدو أنهم

---

(١) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ١ / ١٩٢.
(٢) انظر: المرجع السابق، ١ / ٥.
(٣) الصابئة أصولهم و عقائدهم، د / فهد الفايز، ص ٤٧٥.

تأثروا بالإسلام في هذا الأمر، أو أنه بقايا تأثير الحنيفية السمحة ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وخاصة في الأخلاق والمعاملات، فقد رأوا فوائد ذلك أثناء معاملة المسلمين لهم ومن ذلك:

١- يسبق صلواتهم وضوء كصلاة المسلمين مع اختلاف هيئات الصلوات عندهم، فهم يستقبلون الشمال.

٢- يهتمون بالصدقة، ويشترطون فيها أن تكون لله تعالى.

٣- المحرمات من النساء هن المحرمات عند المسلمين.

٤- يحرّمون القتل والزنا والسرقة والخيانة وغيرها مما يقره الإسلام وتتفق عليه الديانات الإلهية.

المبحث الثاني

وسائل دعوة الصابئة وأساليبها قديمًا

المطلب الأول

وسائل دعوة الصابئة

من خلال استقراء تاريخ هذه الطائفة، وتحليل مضمونه نستنبط بعض وسائل دعوة هذه الطائفة التي قام بها المسلمون قديمًا، وسأذكر ما استطعت استنباطه مدعومًا بالدليل التاريخي في الآتي: -

الوسيلة الأولى: -الرد على أفكارهم من خلال المؤلفات العلمية

جاء في التراث الإسلامي كثير من المؤلفات التي تبين معتقداتهم الباطلة وتفندها واحدة واحدة. ومثال ذلك ما ورد في مؤلفات **شيخ الإسلام ابن تيمية** -رحمه الله -في تخصيص هذه الطائفة بالرد وبيان بطلان الملة. فقد ألف كتابه «**الرد على المنطقيين**» وضم إليهم الفلاسفة من الصابئة وغيرهم يقول -رحمه الله - في مقدمة كتابه هذا: (أما بعد فإني كنت دائمًا أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد، ولكن كنت أحسب أن قضاياه صادقة لما رأيت من صدق كثير منها، ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه، وكتبت في ذلك شيئًا، ثم لما كنت في الإسكندرية اجتمع إليَّ من رأيته يعظم الفلاسفة بالتأييد والتهويل فذكرت له بعض ما يستحقونه من التجهيل والتضليل) [1]. ثم يبين سوء معتقدهم في مكان آخر فيقول: (ثم إن الصابئين ابتدعوا الشرك فصاروا مشركين، والفلاسفة المشركون من هؤلاء المشركين) [2]. ويقول: (فإن الصابئية كفارٌ من جهة تبديلهم لما أنزل الله، ومن جهة كفرهم بما أنزل الله على محمد ﷺ،...فإذا كان اليهود والنصارى قد يكونون

(١) الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص ٣، ٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٩.

مشركين فالصابئيون أولى، وذلك بعد تبديلهم) [١]، ورد عليهم الشهرستاني في كتابه «**الملل والنحل**» وعقد مناظرة بين الحنفاء والصابئة [٢].

الوسيلة الثانية: -استخدام الشدة في دعوتهم

هذه قصةٌ يتبين من خلالها حرص خلفاء بني العباس على إسلام هؤلاء لما يتمتعون به من كفاءة في كثير من العلوم وخاصة العلوم الطبيعية والطبية، بل قد يصل الأمر إلى استخدام القوة كما فعل الخليفة الظاهر مع سنان بن ثابت بن قرة الذي كان طبيبًا للمقتدر ثم للظاهر الذي دعاه للإسلام وألح عليه في ذلك فامتنع فهدده فانهزم إلى خراسان، ولكنه أسلم طواعية بعد ذلك ثم عاد إلى بغداد ومات فيها مسلمًا عام ٣٣١ هـ [٣].

وهذه قصة أخرى ذُكر فيها أن المأمون اجتاز ديار مضر يريد غزو الروم، فتلقاه جماعة من الحرانيين، فأنكر المأمون زيهم فقال لهم: من أنتم من الذمة ؟.قالوا: نحن الحرانيون. فقال: أَنَصَارَى أنتم ؟. قالوا: لا. قال: أيهودٌ أنتم ؟. قالوا: لا. قال: أمجوسٌ أنتم ؟. قالوا: لا. قال: أفلكم كتابٌ أو نبيٌ ؟ فحجموا في القول. فقال لهم: فأنتم إذن زنادقة، عبدة الأوثان. وأنتم حلال دماؤكم ولا ذمة لكم. فقالوا: نحن ندفع الجزية قال: إنما تؤخذ الجزية من أهل الأديان الذين ذكرهم الله في كتابه، ولهم كتاب. وأمهلهم إلى أن يرجع من غزو الروم إما يدخلون الإسلام أو يقتلهم. فدخل كثير منهم الإسلام، وتنصر منهم آخرون [٤].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٢ / ١٤ ٢١.

(٢) انظر: الملل و النحل، الشهرستاني، ص ٢٥٩ ٢٩٨.

(٣) انظر: الموجز في تاريخ الصابئة، عبد الفتاح الزهيري، ص ١٦٧. ومع أن القصة ليس لها سند إلا أنه يبدو أن الخليفة الظاهر يرى أنهم وثنيون، و هذا يبيح قتالهم لأن الجزية لا تؤخذ إلا من الكتابيين على أصح أقوال أهل العلم. (انظر: أقوال العلماء في هذه الديانة في المطلب الأول من الفصل التمهيدي)

(٤) انظر: الصابئة أصولهم و عقائدهم، د / فهد الفايز، ص ٦٠. ومع أنه ضعّف القصة ورأى أنها لا تثبت إلا على سبيل الذكر والاستشهاد على سبيل التثبت، لكن القصة التي قبلها تبين أن خلفاء بني العباس يتخذون ما يرونه مناسبًا لدعوة الصابئة، حتى وإن أدى ذلك إلى استخدام القوة.

المطلب الثاني

أساليب دعوة الصابئة

سأذكر بعض الأساليب التي رأيتها من خلال دراسة واستقراء هذا التاريخ، وتحليل مضامينه، والتي استخدمها المسلمون في دعوة الصابئة بما يدل على أنها كانت المؤثرة في دعوة هذه الطائفة، وهي على النحو الآتي:

الأسلوب الأول: المعاملة الحسنة

ضرب المسلمون أروع الأمثلة في حسن معاملة غير المسلمين، وهو ما أمر الله به وأمر به نبيه ﷺ، وكان ذلك من أسباب دخول الناس في دين الله أفواجًا. وفي خصوص الصابئة فهم كغيرهم من الناس لم يُظلموا، وعاشوا في عدل الإسلام، وقد أثبت التاريخ كيف أكرم الخلفاء البارزين من الصابئة في علوم الطب والرياضيات والحساب والفلك وقربوهم وعرضوا عليهم الإسلام، وأسلم منهم الكثيرُ رغبة في هذا الدين العظيم [1].

وقد أثبتنا في المبحث الثالث من هذا البحث كيف كانت الصابئية في أوائل هذا القرن لا يتجاوزون ٤٠٠٠ نسمة [2]، بما يدل على أن من أسباب قلة أعداد الصابئة دخولهم في الإسلام خلال العصور الإسلامية المتتابعة، وقد أسلمت قبيلة آل زهرون وآل قرة من قبائل الصابئة طواعية ورغبة في هذا الدين العظيم.

الأسلوب الثاني: -تولية المناصب العلمية والإدارية لمن يستحقها:

حب المكانة الاجتماعية والوجاهة محببةٌ للنفس البشرية، وقد يتنازل الإنسان عن مبادئه في سبيل الحصول على المنصب الاجتماعي أو المحافظة عليه. وقد أمّر النبي ﷺ عيينة بن حصن الفزاري رضي الله عنه على سرية إلى بني العنبر [3]، ومواقف عيينة الخاطئة

(١) انظر: المطلب السادس من المبحث التمهيدي.
(٢) انظر: المطلب الثالث من المبحث التمهيدي.
(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة عيينة إلى بني العنبر، ٥ / ١١٥.

معروفة مع النبي ﷺ، لكنه فعل ذلك استجلابًا لقلوب أتباعه الذين يرضون لرضاه ويسخطون لسخطه، لأنه سيدٌ في قومه[1]. وقد كان للصابئة وجودٌ في المناصب الإدارية في دولة بني العباس، وبغض النظر عن حكم تولية غير المسلم والاستعانة به في الدولة الإسلامية إلا أننا ننظر لها من جانب دعوي، فقد كانت سببًا في إسلام بعضهم، وتألفت قلوبهم، وأسلم الكثير من قبائلهم عندما مُنحوا هذه المكانة، وهم كانوا لا يعرفونها أيام الدولة الفارسية، بل كانوا يُمتهنون وتسند لهم أعمال الخدمة والأعمال الوضيعة كغيرهم من طبقات الشعب.

أما في الدولة العباسية فمنهم من تولى رئاسة ديوان الإنشاء، ومنهم من تولى إدارة المستشفيات يُعين فيها من يرى فيه الكفاءة، وقد كانت هذه المهمة من أسباب إسلامه [2]، فتولية المناصب الإدارية لمن يستحقها رجاء إسلام المدعو لها أثرها وفائدتها، وهي أسلوب دعويٌّ ناجع.

الأسلوب الثالث: -المناظرة

المناظرة أسلوب قرآني، ولاشك أنه من أنجع الأساليب في دعوة الصابئة، وقد ورد هذا الأسلوب في دعوتهم، نذكر منها مناظرتين هما:

الأولى: مناظرة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع سلف هذه الطائفة كما وردت في سورة الأنعام في قول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ

---

(١) انظر: دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) انظر: الصابئة أصولهم و عقائدهم، د/ فهد الفائز، ص ٥٠٦ ٥١٥.

هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[1].

فقد كانت أحسن وأبين مناظرة، تدرج فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام من الكوكب الصغير حتى وصل إلى أكبرها وهو الشمس، وكلها أَفَلَتْ، والإله لا يليق به أن يأفل. فلا بد أن يكون شاهدًا لا يغيب، وغالبًا قاهرًا غير مغلوب ولا مقهور، ولا يكون ذلك إلا لله، وكل معبود سواه باطل. وعندما ألجمهم بالحجة الواضحة المشاهدة الموافقة للعقول السليمة وقفوا مستسلمين لا يستطيعون الجدال. فعند ذلك انتقل إلى خالق هذه الأفلاك فإنه المستحق للعبادة، فقال: ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾، وهنا عادوا إلى محاجة سيدنا إبراهيم عليه السلام في ربه، فقال: أتريدون صرفي عن عبادة ربي الذي أبان لي الحق حتى استبان كالعيان ؟ فالمحاجة هدفها الانتقال من الباطل إلى الحق، ومجادلتكم إياي تتضمن خلاف ذلك. فعند ذلك انتقلوا إلى أمر آخر، فخوفوه بآلهتهم، فقال لهم: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ ، فإن آلهتهم أقل وأحقر من أن تَضُرَّ من كفر بها وجحد عبادتها، ثم رد المشيئة إلى الله: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا ﴾ ، والمعنى: إني لا أخاف آلهتكم لأنه لا مشيئة لها ولا قدرة، فمن أحق أن يعبد أهو الله الخالق أم هذه الآلهة المخلوقة؟ ثم وجه الخطاب للعقول فقال: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ ، وهذا من أحسن قَلْبِ الحجة وجعل حجة المبطل بعينها دالة دلالة قوية على فساد قوله وبطلان مذهبه، فإنهم خوفوه بآلهتهم التي لم ينزل الله عليهم سلطانًا بعبادتها، وقد تبين بطلان إلاهيتها ومضرة

---

(١) سورة الأنعام، ٧٥-٨١.

عبادتها، ومع هذا فلا تخافون شرككم بالله وعبادتكم معه آلهة أخرى، فأي الفريقين أحق بالأمن وأولى بأن لا يلحقه الخوف فريق الموحدين أم فريق المشركين؟!(١).

يقول العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله-: (عُني إبراهيم الخليل ﷺ بالدعوة إلى الإسلام، ووجّه جُلّ همه وأعظم عنايته إلى إيضاح التوحيد وبيانه وإقامة الحجة عليه، فبدأ به وكرر الدعوة مع اختلاف لهجته في ذلك لينًا وشدة، وذكر أنواعًا من الأدلة على التوحيد، وسلك طرقًا شتى في الاستدلال بها عليه إتمامًا لإقامة الحجة وزيادة الإعذار إلى الأمة، وأملًا في أن يجد كل نوع منها أو وجه من وجوه الاستدلال بها منفذًا إلى قلوب جماعة، وقد بصر الله إبراهيم ﷺ بالدلائل الكونية الدالة على وحدانيته في ربوبيته وألوهيته) (٢).

الثانية: مناظرة أبي الفتح محمد الشهرستاني للصابئة (٣):

وقد كتب الإمام الشهرستاني – رحمه الله – عن الصابئة كتابات تبين من خلالها دعوته للصابئة، والأسلوب الذي اتخذه في دعوتهم هو المناظرة، فقد أورد –رحمه الله – مناظرتين:

الأولى: مناظرة سيدنا إبراهيم ﷺ لهم كما في القرآن.

والثانية: مناظرة بين الحنفاء والصابئة، وتدور حول مسألة المفاضلة بين الأرواح العلوية والأنبياء، أثبت فيها أفضلية الأنبياء، وعرض لآراء هذه الطائفة بدقة وأمانة، وبَيَّنَ بطلان مذهبهم وعقائدهم، ولم يَفْتَرِ عليهم وإنما أورد ما في مذهبهم من فساد عقدي وانحراف فكري (٤).

---

(١) انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود الألوسي، ٢ / ٢٢٣-٢٢٨.
(٢) نقلاً من الصابئة أصولهم و عقائدهم، د / فهد الفايز، ص ٥٣١، ٥٣٢.
(٣) أبو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، ٤٦٧ ٥٤٨ هـ. كان كثير الحفظ، قوي الفهم، يُعد شيخ أهل الحكمة و الكلام، صاحب الكتاب الشهير (الملل و النحل)، قال فيه ابن تيمية: (من أجمع و أكثر الكتب المصنفة في المقالات). (انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٠ / ٢٨٦ ٢٨٨).
(٤) انظر: الملل و النحل، الشهرستاني، ص ٢٦٣-٢٩٨.

المبحث الثالث

أبرز القضايا في دعوتهم

سأتحدث في هذا المبحث عن قضيتين مهمتين أرى أنهما من أبرز القضايا التي تَحُولُ بين الصابئة وقبولهم الإسلام، ولأنها يندرج تحتها قضايا جزئية أخرى، وقد أشرت إلى بعض معتقداتهم في المطلب الخامس من المبحث التمهيدي.

المطلب الأول

التنجـــــيم

أشركت الصابئة في النجوم، وقالوا: إنها مكان الروحانيات، وبنوا لها الهياكل، وعبدوها من دون الله، وبيّنا كيف جادلهم نبي الله إبراهيم عليه السلام وأبطل حججهم.

ثم اشتهروا بالتنجيم والسحر، وما يترتب على ذلك من ادعاءٍ لعلم الغيب، والكهانة والشعوذة والكذب، وهذه الأمور منطلقها أن الكواكب لها تأثير وأن الله قد كلفها بمهمة تسيير الكون وما فيه، وهي تعلم الغيب وتضر وتنفع، فهم مشركون في الربوبية أصلًا، ومشركون في الألوهية. وعلى ذلك اختلف العلماء هل هم من أهل الكتاب فتؤخذ منهم الجزية ؟ أم أنهم مشركون وثنيون ؟ على ثلاثة أقوال تتلخص في الآتي:

١- أنهم من أهل الكتاب وهو قول لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

٢- أنهم ليسوا من أهل الكتاب.

٣- التفصيل، فإن وافقوا أهل الكتاب في أصل دينهم فهم منهم، وإن خالفوهم في أصل دينهم فليسوا منهم.

وبناءً على هذه الأقوال جاء الاختلاف هل تؤخذ منهم الجزية أم لا ؟ على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها تؤخذ منهم،وهو رأي من قال: إنهم من أهل الكتاب.

الثاني: أنها لا تؤخذ منهم لأنهم عبدة كواكب.

الثالث: التفصيل؛ فإن وافقوا النصارى في الأصول أخذت منهم الجزية، وإن خالفوهم فلا. مع أن هناك قولًا آخر لأهل العلم أن الجزية تؤخذ من كل كافر كتابي أووثني أوصابئي[1]. وليس هذا موضع بسطه. ولكن فيما يبدو-والله تعالى أعلم-أن اختلاف تعاملات الخلفاء معهم-كما مر معنا-مبنيٌ على هذا الاختلاف.

وما يهمنا هنا هو ما يجب أن يعرفه الداعية حيال هذه القضية، فقد كان ﷺ يقول لمعاذ رضي الله عنه: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب» ليكون على استعداد مسبق لاختيار الأسلوب المناسب لهم، وأنهم أهل علم وشبهات يستعد الداعية لمواجهتها.

وهذه القضية قد فصَّل فيها القول ابنُ القيم -رحمه الله – في كتابه: (مفتاح دار السعادة)،وردَّ على المنجمين وأبطل مذاهبهم، فقال: (فأما قولهم: إن الموجودات في العالم السفلي مركبة في تأثير الكواكب والروحانيات وفي اتصالها سعود ونحوس، فقائل هذا القول مردود عليه من وجوه...) وذكر اثني عشر وجهًا آخرها قال: (الثاني عشر: شواهد التاريخ ووقائعه الدالة على كذبهم..وذكر ما حصل لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين خرج إلى صفين، فقال المنجمون: إنه يُقتل ويُقهر جيشه، فظهر كذبهم وانتصر). ومنها: عندما قال المنجمون بعد بناء بغداد: إن طالعها يقضي بأن لا يموت فيها خليفة حتى قال الشاعر:

يهـــنيك مـــنها بلـــدة تقـــضي بـــها

إن المـــــمات بـــها عـــليك حـــرام

---

(١) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ٥ / ٨٢-٨٥.

لمـــا قضـــت أحـــكام طـــالع وقـــتها

أن لا يـــــرى فـــيها يمـــوت إمـــام

فقُتل فيها الأمين، فبطل ما أصَّلوه وظهر الزور الذي لفقوه فقال الشاعر:

كـــــذب المنجـــم في مـــقـــالته الـــتي

نطـــقت بـــــه كـــــذبًا عـــلى بغـــدان

قُـــتل الأمـــين بـــها لـــعمري يقتضـــي

تكـــذيبهم فـــــي ســــائر الحـــسبان

ومات ببغداد جماعة من الخلفاء كالواثق والمتوكل والمعتضد والناصر وغيرهم.
ومن ذلك اتفاقهم أن المعتصم ستدورعليه الدوائر عندما خرج إلى عمورية، فرزقه الله النصر والفتح، وكذب المنجمون. وقال أبو تمام:

الســـيف أصـــدق أنبـــاءً مـــن الكـــتب

فـــي حـــده الحـــد بين الجـــد واللـــعب

أيـــن الـــرواية بـــــل أيـــن النجـــوم وما

صـــاغوه مـــن زخـــرف فيها ومـــن كـذب

تخـــــــرصـًا وأحـــــــاديثًا ملـــفقة

ليســـت بنبـــع إذا عـــدت ولا غـــرب(١).

فمسألة التنجيم عندهم تنطلق من عقيدة، وليست من باب الدجل والاحتيال، ولذلك هي قضية أساسية، وإذا وُفِّق الداعية لبيان فسادها بالدليل الشرعي والعقلي والحسي والواقع المشاهد، فهو يضرب أتباع هذه الديانة في مفصل، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٢ / ١٢٧-١٣٦.

المطلب الثاني

إنكـــار النبـــوة

من المبادئ الأساسية في الفكر الصابئي إنكار النبوة البشرية،لأن الأنبياء أمثالنا في النوع والصورة، يشاركوننا في المادة، يأكلون ويشربون مما نأكل ونشرب، فكيف لنا طاعتهم. ويندرج على ذلك إنكار الوحي والرسل، ويعدون الرسل معلمين أو حكماء، وليست هذه المهمة محصورة في أشخاص بعينهم، ويبدو أن الفلاسفة استقوا نظرتهم للنبوة من الصابئة، فقالوا: لا فرق بين النبي والفيلسوف [١].

وهذه القضية تحدث عنها القرآن في مواضع منها قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[٣]، ثم رد الله عليهم مقررًا لزوم بشرية الرسل في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾[٥].

وحاجة البشرية إلى الرسل معلومةٌ، وفوق كل حاجة، بل أعظم من حاجتهم إلى الماء والهواء الذي لا حياة لهم بدونه [٦].

(١) انظر: الصابئة أصولهم و عقائدهم، د/ فهد الفايز، ص ٦٢٣.
(٢) سورة الإسراء، ٩٤.
(٣) سورة المؤمنون، ٣٣، ٣٤.
(٤) سورة النحل، ٤٣.
(٥) سورة الإسراء، ٩٣.
(٦) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٢ / ١١٨.

ويرد ابن القيم -رحمه الله -على منكري النبوات بالقرآن، ويرى أننا إذا فهمنا ما جاء عن الله استطعنا الرد عليهم، ثم يرد عليهم باستدلالات عقلية فيقول: (فإذا كان العقل قد أدرك حسن بعض الأفعال وقبحها فمن أين له معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه، ومن أين له معرفة تفاصيل مواقع محبته ورضاه، ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يظهر الله عليه أحدًا من خلقه إلا من ارتضاه من رسله إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل وبلغته عن الله، وليس في العقل طريق إلى معرفته فكيف يكون معرفة حسن بعض الأفعال وقبحها بالعقل مُغْنِيًا عمّا جاءت به الرسل. ولهذا قال بعض الأعراب وقد سُئل: بماذا عرفت أن محمدًا رسول الله؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به... أفلا ترى هذا الأعرابي كيف جعل مطابقة الحسن والقبح الذي ركب الله في العقل إدراكه لما جاء به الرسول شاهدًا على صحة رسالته وعلمًا عليها، ولم يقل: إن ذلك يقبح طريق الاستغناء عن النبوة بحاكم العقل)[1].

وقضية إنكار النبوة عند الصابئة من أخطر القضايا التي تحتاج إلى منهج وأسلوب خاص، ينطلق فيها الداعية من نصوص القرآن، وسيرة الرسول ﷺ ويبني عليها استدلالاته العقلية والحسية ليبين فساد هذه العقيدة.

إن هاتين القضيتين التنجيم وإنكار النبوة من أبرز القضايا الكبرى في ديانة الصابئة أشرت إليها باختصار، وغيرها قضايا أخرى مهمة لا يمكن استقصاؤها في هذا البحث.

---

(١) المرجع السابق، ٢ / ١١٧، ١١٨.

المبحث الرابع

أهم المعوقات، والمقترحات حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر

المطلب الأول

أهم معوقات دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر

يظهر من خلال هذه الدراسة المختصرة لتاريخ دعوة الصابئة، وما كتبه علماء المسلمين الأوائل عنهم، وما كُتب عنهم في هذا العصر أن دعوتهم إلى الإسلام يكتنفها كثير من الصعوبات والمعوقات التي لا بد لمن أراد دعوتهم إلى الإسلام أن يسعى إلى تذليلها أو على الأقل أخذها في الحسبان. **وأهم هذه المعوقات ما يأتي:**

أولًا: اللغة: فلغة هذه الديانة اللغة المندائية التي هي من لهجات اللغة الآرامية القديمة، وقد اندثرت هذه اللغة من مئات السنين، ومن قبل ظهور الإسلام، وجميع كتبهم الدينية كُتبت بهذه اللغة، وتنقل بنفس اللغة، إضافة إلى ذلك فإن معتنقي هذه الديانة لابد أن يتعلموها لأن جميع طقوسهم الدينية بهذه اللغة ولا تبيح لهم ديانتهم أن يؤدوا شعائرهم إلا بهذه اللغة. فهي مشقة على أبناء هذه الديانة لأنهم يعيشون في مجتمعات لا تتحدث بهذه اللغة ولا تعترف بها فيتعلمون في مدارس لغاتها غير لغة ديانتهم، ومشقة على من أراد دراسة هذه الديانة ومعرفة طقوسها ودعوتها إلى الإسلام.

ثانيًا: ندرة المؤلفات القديمة الخاصة بهم مقارنة بغيرها من الطوائف: إن هذه الطائفة تندر المؤلفات الخاصة بهم عند مقارنتهم بغيرهم من الطوائف، سواءً من علماء المسلمين أم من غيرهم، وكل ما كتبه عنهم علماء المسلمين عبارة عن إشارات ضمن

مؤلفات عامة، فقد أشار إليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من مؤلفاته كالرد على المنطقيين ومنهاج السنة، وتلميذه ابن القيم في مفتاح دار السعادة، والشهرستاني في الملل والنحل.

ثالثًا: قلة الدراسات الميدانية في هذا العصر عن هذه الطائفة: اشتهرت في هذا العصر الدراسات الميدانية وعُنيت الطوائف بإعداد الدراسات الميدانية عن أنفسهم، أما الصابئة فقد قلّت الدراسات الميدانية عنهم إلا ما كتبه بعض المستشرقين، وهي تنحو منحى الدراسات التاريخية، ناهيك عمّا تحمله من أهداف سيئة ضد العرب والمسلمين؛ فتذكي نار الفتنة بإحياء العصبية، ورمي التاريخ العربي والمؤرخين العرب بعدم المصداقية، إضافة إلى ادعاء ظلم الأقليات غير الإسلامية من قبل العرب خاصة والمسلمين، وعلى هذا تكون هذه الدراسات غير علمية وغير دقيقة، فهي -إضافة إلى قلتها- قليلة الجدوى.

رابعًا: أن الدين عند الصابئة حِكْرٌ على رجال الدين: فعامة الصابئة لا يستطيعون تعلم ديانتهم، فلا يعلمها إلا خواص منهم، ولا يَصِلُوا إلى هذه الدرجة إلا بعد جهد جهيد، وطقوس ومراسم، فرجال دينهم هم الذين يتولون عملية التعميد، وعملية النكاح، وعملية الدفن للموتى. وعباداتهم يؤدونها بنفس لغتها التي دونت بها قديمًا.

خامسًا: انزواؤهم وتكتمهم على أداء طقوسهم وتفرقهم بين المجتمع: طبيعة الصابئة الانزواء، وكذلك عدم وجود أماكن معروفة ظاهرة لأداء طقوسهم، وهذا الأمر يُعْتَبَر عقبة في طريق من أراد التوصل إليهم أو دراسة ديانتهم.

سادسًا: أنهم أساتذة التنجيم: مما ابتُليت به الأمم خاصة في هذا العصر التنجيم عبر وسائل الإعلام المختلفة وقراءة الكف والكهانة، وما تُدِرُّه من أرباح مادية. ويُعد رجال دين الصابئة أساتذة هذا البلاء، وهذا يجعلهم أشد تمسكًا بديانتهم، وخاصة رجال الدين حفاظًا على مكانتهم.

المطلب الثاني

أهم المقترحات حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر

لاشك أن الدعوة إلى الإسلام واجبة على الأمة كل بقدر طاقته وعلمه، وبها تتحقق الخيرية. وأتباع الديانة الصابئية أقل الديانات بحسب ما توصلت إليه من بحث، وهم من أصول عربية، ويتحدثون بالعربية، ويعيشون في البلاد العربية، وليس لهم قوةٌ سياسيةٌ تتبنى ديانتهم وتدافع عنها، أو حتى تكون حجر عثرة في طريق من يدعوهم إلى أي ديانة أخرى... كل ذلك يعظم المسؤولية على دعاة الإسلام لإنقاذ هؤلاء من النار، وقد كان المسلمون الأوائل يقولون جئنا لنخرج من شاء من العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

ولم أجد-من خلال البحث-ما يثبت أنهم قد دُعوا إلى الإسلام في هذا العصر بطريق مباشر بالحوار والمناظرة ونحوها، ولا بطريق غير مباشر من خلال الإنترنت أو تأليف الكتب المتخصصة في دعوتهم، رغم أن وسائل الدعوة قد تيسرت في الوقت الحاضر.

فمن هذا المنطلق أُقدم هذه المقترحات، أحسب من خلال دراستي العجلى لهذه الديانة أنها مفيدة حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام:

أولًا: الدراسات الميدانية لتحديد أماكن تواجدهم على نحو التحديد لتكون من أسباب التوصّل إليهم بأقل جهد ممكن.

ثانيًا: الدراسات العلمية المتخصصة لأصول هذه الديانة وبيان معتقداتهم القديمة، وما طرأ عليها من تغيير على مر العصور وخاصة هذا العصر. وتعتبر

الدراسة العلمية لمعتقداتهم، والتي تقدم بها الدكتور/ فهد الفايز في قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مرجعًا جيدًا في هذا الباب، ينبغي الاطلاع عليه لمن أراد دراسة هذه الديانة أو دعوتها.

ثالثًا: الدراسات التاريخية لبداية هذه الديانة ومراحل تطورها والمؤثرات التي أثرت فيها سلبًا وإيجابًا، ومعرفة تاريخ دعوتها إلى الإسلام والشخصيات الإسلامية العلمية والسياسية التي كان لها دور في دعوتها أو مناظرتها، واستقراء نتائج هذا التاريخ بعد تحليله ومعرفة نتائجه، والإفادة منها في دعوتهم في هذا العصر.

رابعًا: الاعتماد على القرآن الكريم ودراسة العرض القرآني للقضايا الأساسية في عقيدتهم، وكيف عرض وعالج مسألة بشرية الأنبياء، وكيف عرض وعالج مسألة الاعتقاد في النجوم والتنجيم، وكيف عرض وعالج مسألة الربوبية والألوهية، وكيف عرض وعالج مسألة الملائكة وغيرها من القضايا الأساسية في عقيدة هذه الطائفة، يدرسها الداعية وتكون له زادًا عند دعوتهم.

خامسًا: دراسة أسلوب المناظرة في العموم والتركيز على مناظرة سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه وما فيها من فوائد عظيمة، خاصة وأنه عليه السلام كان يناظر عبدة النجوم وهي ديانة الصابئة.

سادسًا: التطبيق العملي لهذه الدراسات هو النزول إلى ميدان الدعوة لهذه الطائفة عبر المتاح من الوسائل، وخاصة الوسائل الإعلامية، وأخص الشبكة العنكبوتية، فقد وجدت الكثير الكثير من المواقع الخاصة بهذه الطائفة، يعرضون من خلالها مبادئهم والمشاكل التي يواجهونها، ويتنادون من خلالها إلى التكاتف من أجل أن يكون لهم مكان في المجالس النيابية والمناصب الإدارية في العراق، كغيرهم من طوائف المجتمع العراقي، ولاشك أنه إذا عُرضت الدعوة عليهم بالأسلوب العلمي الهادئ، ورُد على الشبهات والأفكار المنحرفة في هذه الديانة سيكون لها الأثر، ومما تبرأ به الذمة إن شاء الله تعالى.

سابعًا: العمل الجاد للوصول إلى الطبقة المثقفة منهم، وقد وجدت بعض الأسماء في المؤلفات التي تمكنت من الحصول عليها وفي الكثير من المواقع على الشبكة العنكبوتية، فمنهم الأطباء ومنهم الحاصلون على أعلى المؤهلات في الكيمياء والفيزياء والأدب ومنهم من كان مديرًا لجامعة بغداد، وهم الآن منتشرون في بعض الدول الأوروبية وبعض الدول العربية وتركيا.

والتخاطب مع هؤلاء عبر المراسلة الدعوية أو التعارف عبر أي وسيلة ممكنة، خاصة وأنهم انفتحوا على العالم، والتخاطب معهم بلغة عصرية سيكون له الأثر الجيد إن شاء الله تعالى. بعكس رجال الدين المنغلقين المنزوين على ديانتهم وكذلك عامة الطائفة. والطبقة المثقفة سيكون لها الأثر المستقبلي على بقية أتباع هذه الديانة. خاصة وأنني لمست أنهم يفخرون بهم كثيرًا، ويتناقلون أخبارهم عبر الشبكة العنكبوتية.

ثامنًا: الثناء على المبادئ الصحيحة في الديانة الصابئية: فقد ورد في الديانة الصابئية بعض المبادئ التي يقرها الإسلام ويدعو إليها، وبينت في المبحث الأول بعض هذه المبادئ، وأنها قد تكون بتأثير الإسلام، واحتكاكهم بالمسلمين خلال العصور الإسلامية الماضية، خاصة وأنها تتوافق مع الفطر الإنسانية السليمة، وتقرها العقول السليمة.

فعلى سبيل المثال الإسلام يدعو الإنسان إلى العلم والتعلم، وهم ينتسبون إلى مندا وهو في لغتهم صاحب العلم والمعرفة.

ومن الآداب والأخلاق أنهم يحرِّمون الظلم، وأكل الحرام، والربا، والرشوة، وشهادة الزور، والزنا، والنظر إلى الأجنبية، وخيانة الأمانة، والسرقة، والنميمة، وشرب الخمر، والمحرمات من النساء في الإسلام هن المحرمات عندهم، وغير ذلك من المبادئ والآداب التي يقرها الإسلام ويأمر بها، بل يقيم الحدود على مرتكبيها.

وهذه تعتبر قواسم مشتركة بين الإسلام والصابئية، يمكن توظيفها في دعوتهم، فيُثنَى عليها وتعزَّز وتُتخذ منطلقاتٍ وقواعِدَ يُستفاد منها في دعوتهم، وأنهم أقرب إلى الإسلام من خلال هذه المبادئ، ويترتب على ذلك توطيد العلاقات ومن ثم الاستماع إلى الدعوة، حتى وإن لم يقبلها المدعوّ. وذلك أدعى للقبول، والثناء محبب للنفوس.

فقد أثنى الرسول ﷺ على حلف الفضول الذي تعاهد فيه المتحالفون على نصرة المظلوم، وشهده ﷺ في الجاهلية، وبعد أن أكرمه الله بالرسالة قال مؤيدًا هذا الحلف: «**لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت**»[1]. وفي ذلك الاعتراف بالحق والخير أينما وجد، حتى وإن خالف أهله في المعتقد، والمسلم داعي خير، يعترف بالخير ويساند كل من يدعو إليه.

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د: مهدي رزق الله أحمد، ص ١٣٠، و قال: إسناده صحيح مرسل يتقوى بإسناد آخر رواه الحميدي بإسناد صحيح. و انظر: البداية و النهاية، ابن كثير، ٢ / ٢٩١. و سبل الهدى و الرشاد، الصالحي، ٢ / ٢٠٩. و الرحيق المختوم، المباركفوري، ص ٦٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فها أنذا أصل إلى نهاية هذا التَطْواف السريع في دراسة تاريخ الصابئة، وعقيدتها وتاريخ دعوتها. وبعد استقراءٍ وتحليلٍ عَجَلٍ لهذا التاريخ أزعم أنني حصلت على فائدة علمية تعرفت من خلالها على شيء من معتقدات هذه الديانة وتاريخها ووسائل وأساليب دعوتها، إلى أن توصلت إلى أهم العقبات في طريق دعوتها ثم إلى اقتراح بعض المقترحات المستقبلية حول دعوتها، بناءً على ما استفدته من خلال هذه الدراسة العجلى.

وقد ظننت في بداية بحثي أن هذه الطائفة عدد قليل وفي اضمحلال، وبعد الدراسة تبين أنهم في ازدياد سريع، فقد كانوا قبل ثلاثين سنة أربعة آلاف نسمة، بينما هم حاليًا يتجاوزون مائة ألف نسمة.

فأصبحت على يقين بأن هذه الديانة تستحق دراسة علمية دعوية يُفيد منها الدعاة في دعوة هذا الصنف من أصناف المدعوين، خاصة وأنه قد قُدم فيها دراسة علمية في الجانب العقدي في قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكانت هي الدراسة العلمية المتخصصة والتي لم تُسبق-حسب ما توصلت إليه-من بحث، وأصبح الجانب الدعوي والذي يُعنى به الدعاة لم يُدرس بعد، ويعتبر ما كتبته في المبحث الرابع يُعد نتيجة هذه الدراسة، حيث بينت أهم المعوقات والمقترحات حول مستقبل دعوتهم إلى الإسلام في العصر الحاضر.

وهذه الديانة معتنقوها من أبناء القطر العراقي وأعدادهم في ازدياد خاصة في السنوات الأخيرة.

فأسأل الله جل وعلا أن يبارك فيما كتبت ويجعله من الذخر عنده، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم...

قائمة المراجع

١- إبراهيم أبو الأنبياء، الأستاذ/ عباس محمود العقاد. د.ت.ن

٢- الأديان القديمة، أد/ عادل محمد درويش وآخرون، مكتبة الإيمان، القاهرة.

٣- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي، تحقيق: د / محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٤١٣ هـ.

٤- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ.

٥- البداية والنهاية، أبي الفداء الحافظ ابن كثير، تحقيق: د/ أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

٦- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ط).

٨- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن.

٩- تاريخ الصابئة المندائيين، محمد بن عمر حمادة، مطبعة دار السلام، بغداد، د. ط.

١٠- تتمة المختصر في أخبار البشر، تاريخ ابن الوردي، تحقيق: أحمد رفعت، دار المعرفة بيروت، ١٣٨٩هـ.

١١- تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، توزيع مكتبة المعارف، الرياض، ط١.

١٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن سعدي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ.

١٣- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ.

١٤- دائرة المعارف الإسلامية موسوعة علمية أكاديمية، لمجموعة من المستشرقين، أصلها بالإنجليزية وعُرِّب بعض أجزائها، طبع مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية، الشارقة، ط١، ١٩٩٨م.

١٥- دعوة النبي للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٩ هـ

١٦- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، مصر، ط ٢، ١٤٢٠هـ.

١٧- الرد على المنطقيين، ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت.

١٨- زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٢ هـ.

١٩- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد ين يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: د/ مصطفى عبد الواحد وآخرون، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف المصرية، ١٤١٠ هـ.

٢٠- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤١٠ هـ.

٢١- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د/ مهدي رزق الله أحمد، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٢ هـ.

٢٢- الصابئة، أ.د/ علي محمد عبد الوهاب، دار ركابي، القاهرة ١٩٩٥م

٢٣- الصابئية المندائيون، سليم برنجي، ترجمة: جابر أحمد، ط ١٩٩٧م، بغداد.

٢٤- الصابئيون أصولهم وعقائدهم وموقف الإسلام منهم، رسالة دكتوراه غير منشورة، د / فهد بن موسى الفائز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٥- الصابئيون حرانيين ومندائيين، الدكتور/ رشدي عليان، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٦م

٢٦- الصابئيون في حاضرهم وماضيهم، عبد الرزاق الحسيني، ط ١٩٨٤م، بغداد.

٢٧- صحيح الإمام البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول.

٢٨- الصلاة المندائية، الشيخ رافد عبد الله الشيخ نجم، ط ١٩٨٨ م، بغداد.

٢٩- فقه السيرة، د/ زيد بن عبد الكريم الزيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٤ هـ

٣٠- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ.

٣١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ

٣٢- مدخل في قواعد اللغة المندائية، نعيم بدوي، ط ١٩٩٣م، بغداد.

٣٣- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.

٣٤- مفاهيم صابئية مندائية، ناجية مراني، ط ١٩٨١م، بغداد.

٣٥- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦- الملل والنحل، أبي الفتح محمد الشهرستاني، مكتبة الرياض الحديثة.

٣٧- منهاج السنة، ابن تيمية، ط ١، جامعة الإمام، ١٤٠٦ هـ.

٣٨- الموجز في تأريخ الصابئة المندائيين، عبد الفتاح الزهيري، نقحه: فريد عبد الزهرة المنصور، مطبعة أركان، بغداد، ط ١، ١٩٨٣م

٣٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مطبعة سفير، الرياض، ط ١، ١٤٠٩ هـ.

٤٠- المواقع الإلكترونية للصابئة:

-www.faylee.info.Articles

-www.mandaeans.org.frame low.htm

-www.sabianmandaean.com /news.php?readmore

الفهرس